المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص473-485

دور الموقع الجغرافي لجمهورية البندقية في توجيه اقتصادها إلى إنتاج وتجارة الملح في العصر الوسيط

The Role of the geographical location of the Republic of Venice in directing its economy to the production and trade of salt in the Middle Age

تسعديت عداد
جامعة الجزائر02 - أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
Addad.tassadit@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/29
تاريخ القبول:
2021/10/16

الكلمات المفتاحية:
- ✓ البندقية
- ✓ الموقع الجغرافي
- ✓ إنتاج الملح
- ✓ التجارة

الملخص:

من المعروف عن جمهورية البندقية أنّها بُنيت وسط البحيرات الضحلة المياه أو في المستنقعات. وقد مكّنتها طبيعة هذا الموقع من أن تكون متميِّزة وفريدة، سواءً من حيث تمركزها الجغرافي أو من حيث بنائها أو من حيث غنى المنطقة بالملح، تلك المادة الضرورية للحياة والتي كانت مصدر ثروة البنادقة الوحيد ورمز نفوذهم التجاري والاقتصادي. لكن الإشكال المطروح هو كيف ساهم هذا الموقع الجغرافي المتميّز في توجيه اقتصاد البندقية إلى إنتاج وتجارة الملح؟ وستحاول هذه المساهمة أن توضّح، دور مركزها الطبيعي في تشكّل الأحواض المالحة، وكيف تمكّنت البندقية من بناء اقتصادها عامة وتجارتها خاصة على الملح، بالتركيز على تطوير الإنتاج في المنطقة والتنافس مع المدن المجاورة لها في تسويق المنتوج والسيطرة على الأسواق الخارجية.

Article info

Received:
29/05/2021
Accepted:
16/10/2021

Key words:
- ✓ Venice
- ✓ Geographical location
- ✓ Salt product
- ✓ Trade

Abstract:

It is known that Republic of Venice was built in shallow waters or in swamps, and the nature of this site enabled it to be distinct and unique, whether from Where it is geographically located, or in terms of region's richness in salt, that substance necessary for life and which was the only source of the Venetian's wealth and a symbol of their commercial and economic influence. But the problem at issue is how this distinguished geographical location contributed to directing the Venetian economy to the production and trade of salt? This contribution will try to clarify the role of this natural center in the formation of the salt basins, and how Venice was able to build its economy in general and its trade in particular on salt

مقدمة

شهدت البندقية في العصر الوسيط، تطوّرا كبيرا وشاملا بخاصة في المجال الاقتصادي. فمنذ تأسيس المدينة التي بُنيت وسط البحيرات في عمق البحر الأدرياتيكي، ازدهر اقتصاد البندقية ونشطت حركتها التجارية. على الرّغم من افتقار المنطقة بحكم موقعها الجغرافي، للأراضي الصالحة للزراعة بل وحتّى للبناء، وانعدام الثروات الطبيعية ما عدا الأسماك والملح؛ جعل من البنادقة يُركّزون اهتمامهم على هذه المادة الهشّة والحسّاسة – وهو الشيء الوحيد الذي منحته لهم الطبيعة– والتي أحسنوا استغلالها وتسخيرها لخدمة مصلحة المدينة التجارية والتعويض بها عن احتياجاتهم. لكن الإشكال المطروح هو: **كيف ساهم الموقع الجغرافي في توجيه اقتصاد البندقية نحو إنتاج وتجارة الملح في العصر الوسيط؟ وعلى أيّ أساس بنت هذه المدينة اقتصادها على الملح؟**

1. موقع البندقية وتأسيس البحيرات (Lagunes)

1.1. الموقع الجغرافي

تقع البندقية في عمق البحر الأدرياتيكي[1] في شمال شرق إيطاليا[2]، وتشرف على الخليج الذي يحمل اسمها، ويمتد هذا الأخير بين منطقتي فينسيا وإيستريا (Venezia, Istria)، وبين مصب نهر تقليامنتو (Tagliamento) إلى مصب نهر البو (Pô)[3]. وهو الخليج المعروف في المصادر العربية باسم: "**جون البنادقة**"؛ وقد فسّر أبو الفداء قائلا: "**... وهو خليج يخرج من بحر الروم مغرّبا (...) ويمتد مغرّبا بميلة إلى الشمال حتى يصير طرفه في غربي رومية وعلى طرفه مدينة البندقية...**"[4]. وأضاف القلقشندي أنّ البندقية هي قاعدة مملكة البنادقة– أي مركز سلطتهم وعاصمة حكمهم– وهم طائفة مشهورة من الفرنجة، وملكهم يقال له الدوك كما اعتبرت دنانيرهم من أفضل الدنانير أو النقود الفرنجية[5].

كما أشادت أغلبية الدراسات– القديمة منها والحديثة– بتميز البندقية بمجالها الجغرافي الفريد؛ إذ أنها بُنيت في جوف البحيرات (Paludi) ووسط جزر عديدة في شمال نهر البو[6]. وتتصلّ هذه الجزر فيما بينها بعدد من الجسور والقنوات الملاحية، التي تفصلها عن البحر سلسلة رملية أو شاطئ رملي يدعى بـ: الليدو (Lido)[7]؛ وهو عبارة عن مجموعة من المرتفعات الرملية تمثّلت مهمتها في حماية تلك المناطق من عواصف البحر حين هيجانه[8]. وامتدت هذه الجزر أو البحيرات من رافّان (Ravenna) صعودا إلى مصب نهر البو إلى غاية مدينة آكيليا أو أكويليا (Aquileia) من الجهة المقابلة من البحر الأدرياتيكي[9]. وقد أفاد المؤرخ (Galibert) عن موقع هذه الجزر التي كانت النواة الأولى لمدينة البندقية، حيث قال: "**(...) تمتدّ هذه المستنقعات على طول ساحل الأدرياتيك بين دائرتي عرض 10 º45´ و3 º45´ شمالا وبين خطي طول47 º29´ و20 º30´ شرقا، (...) أيّ تمتد من المصب الحالي لنهر برانتا حتى مصب نهري بافيا أو سيل (...)**"[10].

2.1. نشأة البحيرات (Paludi)

لقد اهتم الباحثون بدراسة كيفية ظهور تلك المستنقعات بهدف فهم هذه الظاهرة الطبيعية، التي استغلها البنادقة أيّما استغلال من أجل بناء مدينتهم في أحلك وأسوء الظروف التاريخية. وبل لإنقاذ شعبهم من الهلاك.

أطلق الرومان قديما مصطلح المستنقعات "Paludi" بالإيطالية أو "Lagunes" بالفرنسية، على البحر المنخفض بالنسبة لمستوى اليابسة[11]، أو هو عبارة عن شاطئ منخفض ومستو السطح وليس ببحيرة؛ إنمّا بمثابة مصّب واسع، دائم الفيضان نتيجة جريان مياه الأنهار إليه، تلك الأخيرة التي تتحدر من أعالي جبال الألب ومن بحر الأدرياتيك[12]. في حين أكدّ البعض من الدارسين أنّ، هذه المنطقة ليست سوى خليج[13] أو سهل منخفض مليء بالمستنقعات ويمتدّ من رينو (Reno) إلى إسونزو (Isonzo)، ومن بلدة رافّان (Ravenna) إلى غاية أكويليا (Aquileia) على طول الساحل الشمالي الغربي من بحر الأدرياتيك[14]، وتتحدر إليه الأنهار النابعة من جبال الألب[15]. على الرغم من اختلاف المسميّات التي تحدّد مفهوم هذا المصطلح، غير أنّ العلماء اتفقوا على كونه خليجا أو بحيرة أو مستنقعا ظهر بفعل العمل الدؤوب والدائم لمياه الأنهار التي تتحدر إليه، فهو نتيجة جغرافية وطبيعية لهذا المجال الحيوي. وربما لفهم أعمق لها وجب التعرف على كيفية حدوث ذلك.

تنبع ثلّة من الأنهار بين أعالي جبال الألب وجبال البنين شمالا، وتجري باتجاه الحوض الغربي لخليج الأدرياتيك جنوبا[16]، وتتمثّل تلك الأنهار: بداية من إسونزو (Isonzo)، تاقليامنتو (Tagliamento) بالإضافة إلى ليفانزا (Livenza) التي تنبع كلّها من جبال الألب ثمّ تلتقي بمياه بافيا (Pavia)، وموزون (Musone)، إلى جانب مياه نهري برانتا (Brenta) وأديج (Adige أو Adexe)؛ تلك التي تغذّت بثلوج جبال تيرول (Tyrol)، لتلتقي في الأخير بمجرى نهر البو (Pô) الذي يحملها إلى المثلّث الغربي لبحر الأدرياتيك[17].

بفعل هذا الجريان الطويل لمياه الأنهار وسرعة تدفقها من الشمال إلى الجنوب، فإنّها تحمل معها مختلف أنواع الرواسب الطينية[18]، والغرين والوحل[19]. إذ أنها تكون في بدايتها سريعة الجريان ثمّ تنخفض سرعتها إلى أن تضحى بطيئة ومتوانية عند بلوغ نقطة نهايتها حول فوهة البحر[20]؛ أين تتراكم كل تلك الرواسب الثقيلة وتتوزع ببطء شديد إلى اتجاهات متفرقة ومتقطّعة؛ مشكّلة بذلك المستنقعات[21]. وقد تشكّلت تلك المستنقعات نتيجة عاملين أساسيين وهما:

-أنّ التيارات المعاكسة قد أعاقت تلك الرواسب الطينية والرملية لتواصل تدفقها البطيء نحو الأمام.

-كما منعت الرياح الشمالية أيضا حركتها[22].

وعلى إثرهما ترسّب في ذلك الخليج كل التراب والرمال والوحل؛ وبفعل تكرار هذه العملية بصفة آلية وبتأثير حركة المدّ والجزر الدائمة في تلك المنطقة، والاحتكاك المتواصل مع إغارة أمواج البحر؛ تكونت تلك البحيرات الصغيرة أو الأحواض[23] التي عملت الطبيعة على تغيير صورتها ورسم خطوطها الدقيقة. لتجعل منها في النهاية مجموعة أو سلسلة طويلة من الجزر تقطعها تكرارا المياه في أماكن عدّة، وتلامس اليابسة في أقصى جهتيها[24]. أو تكون بمحاذاة الأرض اليابسة؛ سهل منخفض وضحل المياه وهو ما يدعى بـ: المستنقع الميّت أو الراكد (Lagune morte)، وباتجاه البحر برزت بحيرة كبيرة تتوسطها الجزر ومتصلة بالأدرياتيك ومفعمة بحركة المدّ والجزر ورياح البحر وهي التي أطلق عليها: البحيرة أو المستنقع الحي (Lagune vive)[25].

وقد جرى وصف لهذه المناطق من قبل مؤرخو العصر القديم، فهذا سترابون تحدّث قائلا: "(...) **كل المنطقة متقطعة جرّاء العدد الهائل من الأنهار، لكن الحوض الذي يقطنه الهنيتي**[26]، (...) **وهو المكان الوحيد الذي يتمتّع بخصائص البحر، إذ يتميّز بالمدّ والجزر (...) وأغلبية سهله مليء بالمستنقعات، وقام أهلها ببناء القنوات والحواجز (...) ومدن هذا الحوض، بعضها مثل الجزر، محاطة بالمياه، وبعضها الآخر من جهة واحدة، والمدن الموجودة في الأعلى، في قلب الأراضي، تتمتع بالأنهار التي يمكن صعودها بكل يُسر ومنها نهر البو (...)** "[27].

3.1. مميزات وأهمية الموقع الجغرافي للبندقية

أشادت معظم الدراسات التاريخية بأهمية موقع فينيسيا البحرية– أو البندقية– وتميّزه؛ فقد اجتمعت فيه كلّ المقوّمات اللازمة لإنشاء كيان مستقل سياسيا واقتصاديا بفعل اتحاد بين الظروف الطبيعية والمعطيات التاريخية. وهذا ما أكّده الباحث (Galibert)، إذ: " (...) **أنّها بُنيت وسط المياه وعلى مدخل إيطاليا وفي أسفل جبال الألب، فتوسطت بذلك كل البلدان الواقعة بين الألب والدانوب، كما اعتبرت بوابة أوروبا بتواصلها اليسير–بفضل الأنهار المتعدّدة التي تصبّ في خليجها– مع معظم مدن الأدرياتيك وتجاور بسفنها الجزر الأيونية والأرخبيل الإغريقي والقسطنطينية ومصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى والبحر الأسود إلى جانب السواحل الإفريقية، لتتعامل تجاريا مع سلع وبضائع إفريقيا وبلاد العرب وأرمينيا وكذا الفرس وبلاد الهند، (...)**" [28]. وجعلها إذاً هذا الموقع، تتربّع على أفضل وأحسن مكانة بين هذه الدول المختلفة والمتطورة اقتصاديا؛ فسمح لها ذلك بنسج روابط اقتصادية وتجارية بين العالم الشرقي والغربي خلال العصر الوسيط.

واعتبرت رسالة "**كاسيودور**" –الذي كان وزيرا لملك القوط الشرقيين "**ثيودوريك**"– والتي وجّهها إلى حكام أهل البحر لفينيسيا في سنة 522م، أقدم وثيقة تاريخية[29] تحدّثت عن الحياة الأولى للفينيت ونمط عيشهم والتي وصف فيها وبدّقة متناهية الطبيعة الجغرافية للمنطقة ومميزاتها.[30] وفيما يلي اقتباسات– التي تدخل مباشرة في صميم الموضوع– من فحوى خطابه الذي جاء يطلب فيه من الفينيت بنقل الخمر والزيت من "**إيستريا**" إلى "**رافّان**" وذلك لتعوُّدهم على ركوب البحر وكثرة سفنهم: "(...) **أنتم الذين اعتدتم على ركوب البحر وتملكون عددا كبيرا من المراكب، (...) هذه الرحلة القريبة، أنتم الذين اعتدتم على الرحلات البعيدة وغير المحدودة، (...)، موقعكم جعلكم تتآلفون مع البحر والملاحة، لأنّكم أصلا تنتقلون من بيت لبيت آخر عن طريق البحر والمراكب (...)، وإن تعكّرت أجوائه ولم تتمكّنوا من ركوبه (...) تنفتح لكم مجاري الأنهار المتعدّدة (...)، مساكنكم الجميلة في حضن البحيرات، مقاطعة فينيسيا البحرية اللامعة، مدينة عظيمة بسكانها النبلاء (...) تُشرف على الشرق بإطلالة جميلة على البحر الأدرياتيكي، وهنا المدّ والجزر يعملان على تغطية وكشف المروج والحقول والجزر وتغيير من ملامح المنطقة، وفي قلب تلك المستنقعات، بَنيتم منازلكم وكأنها أعشاش طيور بحرية في وسط هذا البحر الواسع(...)، السمك هو غذائكم المشترك لجميع السكان، وهنا الغنّي والفقير لهم الحياة ذاتها والمصير ذاته (...)، نشاطكم وعملكم كلّه مقتصر على المسطحات الملحية أو الملاحات، هي حقولكم ومحاصيلكم، وهو أغنى عملة لديكم ومصدر قوتكم،**

لأنّه يمكن العيش بدون الذهب لكن يستحيل ذلك دون وجود الملح، لأنّه التابل الضروري ومصدر كلّ النكهات(...)"[31].

وأبدى "**كاسيودور**" من خلال هذا الخطاب، دور موقع فينيسيا على صعيدين:

من حيث أنّ موقعها الطبيعي في قلب البحر؛ حمل الفينيت على توجيه كلّ نشاطهم حوله وإليه، فعمدوا إلى إتقان الملاحة وفنونها وما يستلزم ذلك من مهارات إلى جانب القيام برحلات تجارية عديدة منذ وقت مبكّر –أيّ بعد استقرارهم مباشرة في الجزر– والتي أدّرت عليهم بأرباح طائلة. وهنا ذكر (Luzzatto) بأنّ الفينيت خلال القرن السادس الميلادي، كانوا يبحرون على ضفتي بحر الأدرياتيك من إيستريا إلى دلتا نهر البو ومن جرادو إلى رافّان، ثمّ يتوغلون في القنوات الداخلية للبحيرة أو على طول الأنهار التي تصّب فيها[32].

كما منح لهم أيضا هذا الموقع مصادر لثروات طبيعية ومجانية؛ تلك المتمثّلة في السمك والملح، وأحسن الفينيت استغلالهما أحسن استغلال بأن عملوا على تطوير عملية إنتاجهما ثمّ التركيز على نيل الأرباح من تجارتهما وخاصة ما تعلّق بالملح. وأشاد في رسالته هذه أيضا، بدور الملح وضرورته واستحالة العيش دونه لما يضفيه من نكهة ومذاق للأطعمة كلّها، فهذا سرّ رغبة الجميع فيه وسعي من ليس بحوزته إلى امتلاكه[33]. ولهذا اشتغل الفينيت منذ القرن الخامس –أو قبله– بإنتاج الملح في الملاحات العديدة التي منحتها لهم الطبيعة بكلّ سخاء.

2. ممارسة نشاط إنتاج الملح في البندقية

1.2. توزيع الأحواض المالحة في المنطقة

نظرا لطبيعة المنطقة ووجودها في قلب المستنقعات، التي كانت جدّ غنية بالملاّحات ومواتية لممارسة هذا النشاط. فتوزّعت الأحواض المالحة في عدّة مناطق من فينيسا البحرية، حول "**شيوجيا**" (Chioggia)[34] التي أضحت المركز الأول والمُمّون الرئيسي للمنطقة كلّها بالملح، خاصة بعد أن منحت البندقية لأهالي تلك المنطقة في سنة 1028م الحق ببناء الأحواض أو الملاّحات، فبرز ملح شيوجيا الوفير والشهير[35]. إلى جانب ملاحات "**مورانو**" (Murano)[36] و"**ريالتو**" وأخرى منتشرة في الجزر القريبة[37].

وأكّد (Hocquet) في هذا الصدد، على غنى المنطقة– إقليم البندقية– بالأحواض المالحة التي تتوزّع هنا وهناك في البحيرات، والتي تمتدّ إلى غاية إيكيلو (Equilo) وكاورل (Caorle) في الشمال، حيث يعمل هذين المركزين على تزويد وتموين الأراضي الداخلية أو ما وراء فينسيا البحرية بالملح ويُقصد بها: المناطق الواقعة بين فريول (Frioul) وإقليم فينيتو الشرقي أيّ من بادوا وتريفيز وبيلونو (Belluno) حتى أودين (Udine)[38]. بالإضافة إلى ملاّحات رافّان وسيرفيا التي اعتبرتا من أهمّ مصادر هذه المادة في المنطقة. كما وجدت أيضا مراكز أخرى لإنتاج الملح في القطاع الذي يربط جزيرة مالاموكو (Malamocco) بـ باليسترينا (Palestrina)[39].

2.2. تطور طرق الإنتاج

عمل الفينيت بين القرنين السادس والتاسع، على تطوير طرق الإنتاج تماشيا مع التطورات الحاصلة في ذلك الوقت ومع سرعة الطلب والإنتاجية. حيث انتقل نمط إنتاج الملح من بركة واحدة إلى الاعتماد على سلسلة من البرك الاصطناعية، التي تتفاوت في الحجم وتتصّل فيما بينها بأقنية لتساعد على انتقال المحلول الملحي من بركة إلى أخرى بعد تشبّعها بالملح، كما تسمح في الوقت ذاته بدخول مياه البحر إلى البركة أو الحوض الأول، وهكذا حتّى يتّركّز المحلول وتزداد نسبة ملوحته إلى أن تتشكّل أخيرا بلورات الملح في قعر الحوض فيتمّ بذلك كشطها[40].

كما عرفت أيضا طرق إنتاج الملح تطورا آخر خلال القرن الحادي عشر؛ حين اكتشف البنادقة تقنيات صرف مياه الأمطار باستخدام قنوات الصرف كما اعتمدوا على تجزئة أحواض التبخير والبرك ذات الحقول المزدوجة، وبهذه الابتكارات نجح البنادقة في تلك الفترة بالتقليل من عواقب الفيضانات والتسريع من عملية تشكّل الملح[41]. وأيّد المؤرخ "**كيرلانسكي**" تبني البندقية لهذه التقنية من الإنتاج خلال القرن الحادي عشر، كما انتشرت أيضا على طول الساحل الدالماشي خلال القرن العاشر وتبنت سيرفيا ذلك النمط من الإنتاج في سنة 956م[42]. لكن على الرغمّ من وجود الملاّحات في المنطقة وتوفر هذه المادة بتحسين طرق الإنتاج، غير أنّ البندقية ركزّت جهودها على نقل وتجارة الملح.

3. التركيز على تجارة الملح

لم تتوقف البندقية عند حدِّ إنتاج الملح والتحسين من مردوديته، إنّما سعت إلى نقل هذه المادة الحيّوية من المراكز القريبة أو البعيدة على حدّ السوّاء. وأرجع المؤرخون سبب ذلك إلى:

الموقع؛ الذي جعل من البندقية بوابة إيطاليا الشمالية، وسمح لها بل أوجب عليها بالعمل على تزويد سكان الأقاليم البرّية بالملح، وتلبية حاجيات أهالي المناطق الداخلية – التي لا تمتلك واجهة أو منفذ بحري–

كما أنّها تمتلك أكبر مركز أو مصدر مُنتج للملح في المنطقة والتي تتمثّل في " **شيوجيا**"، والتي استغلت وفرة إنتاجها.

وبهذا تمكنّت البندقية بتوفر هذين العاملين من تلبية الطلب المحلي بهذه المادة وتنظيم المبادلات التجارية القائمة على الملح، فتراوحت إستراتيجيتها على تكثيف الإنتاج وتسويق المنتوج[43]. وقد أحسن أحد الدارسين وصف هذه السياسة التي انتهجتها البندقية والتي اعتبرها قدرا محتوما عليها، حيث قال: " **(...) لم يكن لسكان المستنقعات منذ القرن الخامس أو السادس إقليم أو أرض إلاّ البحر، ولا صناعة– أو حرفة– إلاّ استخراج الملح والصيد، ولا وسائل أخرى للتزّود بالقوت والثروات إلاّ بالتبادل والتجارة، ولا وسيلة لاستغلال لهذه الثروات إلا بممارسة الملاحة** "[44]. وعليه نقل البنادقة الملح على متن مراكبهم إلى مختلف المدن والقرى الواقعة بين جبال الألب والبينين على ضفاف الأنهار: إيسونزو (Isonzo)، تاقليامنتو (Tagliamento)، ليفانزا (Livenza)، بيافي (Piave)، برانتا (brenta)، البو (Pô)، مينشو (Mincio) وغيرها[45].

كما ركّزت البندقية اهتمامها على الملح المستخرج من أحواض كوماشيو (Commachio) – الواقعة بين ضفتّي نهر البو– القريبة منها، خاصة بعد أن ازدهر إنتاجها وكثُرَ. فباتت هذه المدينة تتعامل مع أغلبية الموانئ اللومباردية التي كانت مجاورة لها في تلك الفترة– بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين– بقصد بيع منتوجهم، ومن أشهر تلك المدن التي احتكّت بها: مانتو، كريمون، وفيراري التي اعتبرت نقطة عبور رئيسية[46]. غير أنّ التنافس على ملاّحات كوماشيو بين قوى شمال إيطاليا البارزة في ذلك الوقت[47]، إلى جانب، غيرة وحقد البنادقة من النفوذ الذي شرع أهل المدينة بتبوئه وقوتهم الاقتصادية، دفع بهم إلى تخريب كوماشيو وإحراق قصرها وقتل معظم أهلها سنة 932م[48]. لا لشيء إلاّ لإنهاء المنافسة التي كانت قائمة بينهما والقضاء على أحواض الملح فيها.

بعد الفراغ الاقتصادي وندرة الملح الذي عقب تخريب الملاحات في كوماشيو، وجّهت البندقية أنظارها إلى ملح سيرفيا (Cervia) – في جنوب إقليم رافّان– التي ازدادت مردوديتها بداية من القرن الحادي عشر، بشراء هذه المادة منها[49]. ثمّ بعد بروز ملح شيوجيا القريب من البندقية –في قلب المستنقعات– تظهر المنافسة التجارية الحادّة بين البندقية ورافّان أيّ بين شيوجيا وسيرفيا[50]. هذا الصراع التجاري الذي استمرّ أزيد من قرنين (11م–13م)، تسابقت خلاله كلتا المدينتين في إنتاج الملح وتنافستا في السيطرة على الأسواق الشمالية لإيطاليا وعلى تزويد مختلف المناطق التي لا تتوفّر على هذه المادة الحيّوية، كما اعتمدتا على سياسة فرض الضرائب والرسوم لدى شراء وبيع هذا المنتوج ووضعتا شروطا لذلك[51].

إلى جانب ذلك، أكّدت دراسات المؤرخ (Luzzatto) على أنّ البندقية ومنذ فترة تأسيسها إلى غاية القرن التاسع والعاشر الميلاديين، تمتّعت باقتصاد قوّي وحيّوية بارزة في حركتها التجارية؛ إذ أنها كانت تمارس تجارة الملح مع مختلف المراكز والمحطّات التجارية التي تقع حول منطقة نهر البو كلّها لأكثر من 200 سنة. ليس هذا فحسب، إنّما تنافس البنادقة وتجار كوماشيو– مثلا– في أسوق كريمون بلومبارديا على المنتوجات الشرقية كالأقمشة المطرّزة والحرير والجلود الآتية من مدينة صور الشرقية وغيرها، كما أنها نقلت الملح نهرا واستبدلته بمنتجات أخرى[52]. أمّا بالنسبة للنقل البحري، فقد وسّعت البندقية من مجالها الملاحي، وأصبحت رائدة في صناعة مختلف أنواع السفن، التجارية منها أو العسكرية لمجابهة أعدائها وأخطار البحر[53]. فأبحرت سفنها عبر سواحل إيستريا ودالماشيا بداية من القرن الثامن أو السابع الميلاديين[54]، وعلى طول ساحل البحر الأدرياتيكي، وصولا إلى جزيرة قبرص[55] التي كانت مصدرا هاما لواردات البندقية من الملح[56]. وإلى جزر البيلوبونيز، والقسطنطينية إلى غاية آسيا الصغرى، فلامست سفنها بذلك مياه البحر الأسود وبحر آزوف[57]. ثم إلى الجهة المقابلة من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط؛ اتجهت أساطيل البندقية إلى بلاد الشام ومصر إلى غاية أبواب إفريقيا الشمالية، التي تعاملت معها منذ فترة مبكرة، بحيث كانت تزوّدها الجمهورية بالأخشاب والمعادن وغيرها من المواد، في حين صدّرت لها دول المغرب ولدول أوروبا: القمح والحبوب، الملح، والجلود، إلى جانب الصوف

وشمع العسل[58]. ثمّ تتوجه إلى جزر الحوض الغربي للمتوسط؛ إلى صقلية وسردينيا الغنيتين بمادة الملح وعبر المحيط الأطلسي إلى مدن إسبانيا؛ والتي اعتبرت فيها جزيرة "**وإيبيزا**" محطة رئيسة لشحن الملح بالنسبة للبنادقة ولغيرهم من الإيطاليين كالجنويين والبيزيين والقطالانيين (من كتالونيا الإسبانية) الذين تنافسوا على ملحها[59].

ومنها تواصل السفن البندقية جولتها التجارية إلى دول أوروبا الشمالية إلى غاية الفلا ندرز[60]. اعتبرت البندقية خلال هذه الرحلات حلقة التواصل التجاري وركيزته، تنقل السلع والبضائع المتنوّعة بين مختلف هذه البلدان وعواصمها التجارية[61]، والتي احتلّ فيها الملح بداية من القرن الثالث عشر، مكانة راقية في عمليات التبادل التجاري وبرمجة الرحلات ومواعيدها[62].

خاتمة

تمكّنت البندقية بحكم موقعها الجغرافي والاستراتيجي المتميِّز من أن تتبوأ مكانة عالية ومرموقة، سواءً على الصعيد الاقتصادي وعلى رأسه التجارة أو على الصعيد السياسي الذي سيظهر جليّا بداية من القرن الثالث عشر. فقد ساعدها هذا الموقع على امتلاك الثروات الطبيعية وبسخاء كالملح والأسماك، وسمحت قوانين الطبيعة بتشكّل البحيرات الضحلة المياه أو المستنقعات؛ التي ساعدت على تشكّل الملح. هذه المادة التي باتت مصدر رزق البنادقة منذ القرن السادس الميلادي، وأضحى بعد أن جعلته إدارة الجمهورية أساسا لاقتصادها وعمودها الفقري لحركتها التجارية التي أصبحت رائجة في العصر الوسيط، وذلك بعد أن فهمت بأنّ العمل في نقل الملح وتسويقه هو أكثر ربحا من إنتاجه. فأصبح الملح عنوانا للتفوّق التجاري ورمزا للسيادة الاقتصادية، ومصدرا للتطوّر والرخاء الاجتماعيين، كما كان وراء كلّ الثروات والخيرات التي تنعّم بها البنادقة منذ القرن السادس إلى غاية القرن السادس عشر.

الهوامش:

1 – اشتق اسم **الأدرياتيك** من مدينة أتريا (Atria) الأترورية الواقعة في خليج البحر نفسه، ودعيت مستنقعاتها بالبحار السبعة وتغيرت تسمية هذا البحر من الأتریاتیك إلى الأدرياتيك أنظر:

Strabon, (1816), **Géographie, France, Imprimerie Royale**, seconde partie, Livre 5, p.123 ; Pline, l'Ancien, (1972), **Histoire Naturelle, France**, Les Belles Lettres, T.1, Livre.3, p.174.)

ويقع هذا البحر بين إيطاليا من جهة ودالماشيا وألبانيا من جهة أخرى وهو عبارة عن خليج واسع، أنظر:

, Léon, Galibert, (1854), **Histoire de la république de Venise**, France, Furne et Cie, p.6.

2– Michel, Mourre, (1996), **Dictionnaire encyclopédique d'Histoire**, France, Bordas, p.5699.

3 – تسعديت، عداد، (2015)، **علاقة البندقية بالإمبراطورية البيزنطية منذ القرن 12م إلى غاية سقوطها في1204م**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، ص ص17–18.

4 – أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، (1840)، **تقويم البلدان**، صحّحه: رينود وماك كوكين ديسلان، بيروت، دار صادر، طبعة باريس، ص31.

5 –أبو العباس أحمد، (1915)، **صبح الأعشى**، مصر، دار الكتب الخديوية، ج.5، ص404.

6 – حسين، جودة، (1996)، **جغرافية أوروبا الإقليمية**، مصر، منشأة المعارف، ص54.

7 –Antonio, Quadri, (1831), **Abrégé de l'histoire de la République de Venise en huit époques depuis son origine jusqu'à sa chute en 1797**, Venise, Imprimerie du Commerce , p.43,; Galibert, p.7 ; Paul, Guérun, (1986), **Encyclopédie Universelle**, Paris, T.6, p.1030.

تسعديت، عداد، المرجع السابق، ص ص18–19.

8 – Galibert, Op.Cit, p.7 ; Giulio, Bistort, (1916), **La Republica di Venezia, Dalle trasmigrazioni nelle Lagune alla caduta di Constantinopoli (1453)**, Venezia, Ateneo Veneto p.12.

مارك، كيرلانسكي، (2005)، **تاريخ الملح في العالم**، ترجمة: حسن، أحمد مغربي، الكويت، مطابع السياسة، ص70.

9 –المرجع نفسه، ص ص.69–70.

10 – لتفاصيل أكثر عن جغرافية المنطقة وأطوالها، (أنظر: .Op.Cit. P.6 et autres)

11 – Histoire Universelle depuis le commencement du Monde jusqu'à présent, (1771), traduit de l'anglais par : Une Société de Gens de Lettres, Arkstée et Merku, Amsterdam et Leipzig, p .21.

12 –Galibert, Op.Cit, p.5.

13 – شارل، ديل، **البندقية جمهورية أرستقراطية**، تعريب: أحمد عزّت عبد الكريم، توفيق اسكندر، جمعية التاريخ الحديث، ص7;

Pierre, Daru, (1821), **Histoire de la République de Venise**, France, Imprimerie de Firmin Didot, T.3, p.12.

14 – شارل، ديل: المرجع السابق، ص7.

15 –Daru, Op.Cit, p.12.

16 – Daru, Op.Cit, pp.8–9 ; Galibert, Op.Cit, p.6 ; La Grande Encyclopédie, (1902) , Société des Savants et de Gens de Lettres, Paris, p.815.

17 – Galibert, Op.Cit, pp.7–8 ; Daru, Op.Cit, pp.8–9.

18 – Daru, Op.Cit, pp.8–9.

19 – شارل، ديل: المرجع السابق، ص.7.

20 –Daru, Op.Cit, p.9 ; Charles, Diehl, (1928), **Une République patricienne de Venise**, France, Ernest Flammarion, p.2.

21 – لتفاصيل أكثر عن نشوء هذه الظاهرة، أنظر:

Galibert, Op.Cit, p.6.et autres; Daru, Op.cit, p.8 et autres

22 – Daru, Op.Cit, , p.8.

23 –Diehl, Op.Cit, p.3.

24 –Daru, Op.Cit, p.12 ; Galibert, Op.Cit, pp. 8–9.

25 –Diehl, Op.Cit, p.4; Gino; Luzzatto, (1949), **Storia economica d'Italia**, Roma, edizione Leonardo, Vol.1, p.168.

26 – والمقصود بهم الفينيت وهم البنادقة الأوائل، نسبة إلى اسم المنطقة: "**فينيسيا**" قبل تأسيسها خلال القرن التاسع الميلادي عقب هجراتهم المتكررة من فينسيا البرية إلى البحيرات أو المستنقعات– التي أسموها لاحقا فينيسيا البحرية ومنها انبثقت مدينة البندقية التي أصبحت عاصمة

كلّ المنطقة- فرارا من الغزوات البربرية التي بدأت من القرن 5م وامتدت إلى غاية القرن 9م. وحول هذا الموضوع، أنظر:

Quadri, Op.Cit, p.14 et autres ; Daru, Op.Cit, p.13 ; Histoire Universelle, T.33, pp.22-23.

27 -Strabon, Livre.5, pp.115-116.

28 -Op.Cit, pp.160-161.

29-Luzzatto, Storia Economica d'Italia, Vol.1, pp.168.169 ; Bistort, Op.Cit, p.14 ; Diehl, Op.Cit, p.6.

30 -Giovanni Battista, Fanucci, (1817), Storia dei Tre celebri popoli maritimi dell'Italia : Veneziani, Genovesi e Pisani e delle loro navigationi e commerci nei Bassi Secoli , Pisa, Italia, Presso Francesco Pieraccini, Livre.1, p.49 ; Pompeo, Molmenti, (1882), La Vie privée à Venise, depuis les premiers temps jusqu'à la chute de la République, Venise, Librairie anciennes et modernes, p.14. Dans ; Galibert, Op.Cit, p.18 ; Histoire Universelle, p.25.

31 - Fanucci, livre.1, pp.49.51 ; Histoire Universelle, pp.25-26.؛

ولمطالعة نص هذه الرسالة وتفاصيلها، أنظر:

Galibert, Op.Cit, p.18; Bistort, Op.Cit, pp.14.15; Molmenti, Op.Cit, pp.14.15 ; Gino, Luzzatto, (1916), **Studi di Storia Economica di Veneziana**, Padova, Casa editrice Dott. Antonio Milani, pp.1-2.

32 -Ibid.

33 - كيرلانسكي: المرجع السابق، ص.70.

34 -تأسست **شيوجيا** في عام 600م، وهي مرفأ يربط بين جزيرة كوماشيو والجزر المكّونة للبندقية لاحقا وقد دُعيت تلك المسافة ب: البحار السبعة؛ لطولها وصعوبة عبورها، ثمّ بعد أن مدّ الفينيت أرض اليابسة ظهر هذا المرفأ وتغيرت رافّان التي كانت ميناءً إلى مدينة داخلية وأصبحت سيرفيا القريبة ميناء. (أنظر: كيرلانسكي: المرجع السابق، ص.70).

35 - Jean-Claude, Hocquet, (1979)، **Le sel et la fortune de Venise**, Université de Paris-Sorbonne, France, Vol.1, p.166.

36 - مورانو: تقع على بُعد كيلومتر واحد أو أكثر بقليل عن البندقية وتعتبر من أهم وأكبر الجزر في البحيرات كلّها وتأسست في زمن الغزوات البربرية وحين هجرة الفينيت إلى المستنقعات هروبا من خطر البرابرة، كان لها نوع من النفوذ بداية من القرن 13م: سواءً في اختيار حاكمها أو في انتخاب أعيان مجلسها كما أنها ضربت حتى عملتها الخاصة، وعرفت بصناعة الزجاج الفاخر. أنظر:

Marion, Kaminski, (2005), **Venise**, Allemagne, h.f.ullmann, p.500.

37 -Luzzatto, Studi, p.3 ; Luzzatto, Storia Economica d'Italia, p.171.

38 - Le sel et la fortune de Venise, Vol.1, p.165.

39 -Ibid, p.166-77.

40 - كيرلانسكي: المرجع السابق، ص71؛

Massimo Della Guistina, Irene Spada, (2013), Il Sale in viaggio da Venezia al Cadore , Cinque sicole di storia attraverso le vicende dei magazzini cadorini di porto Buffolé e Serravalle, p.11.

41 -Hocquet, Vol.2, pp.659-660.

42 - كيرلانسكي: المرجع السابق، ص.71.

43 -Hocquet, Op.Cit, Vol.1, p.165.

44 -Galibert, Op.Cit, p.166.

45 – لتفاصيل أكثر حول تجارة البندقية، (أنظر: Galibert, Op.Cit, p.166)

46 – كيرلانسكي: المرجع السابق، ص70؛ Hocquet, Op.Cit, Vol.1,pp.166.167.

47 – (أشار المتخصص (Hocquet) إلى أنّه، تنازعت عدّة قوى– دينية بالخصوص– في شمال إيطاليا على امتلاك أحواض الملح الموجودة بكثرة في كوماشيو، من بينها نجد إقليم رافّان الذي كان يدعمها والبندقية، وهذا بسبب أهميتها وكثرة إنتاجيتها، والنفوذ الذي سيحصل عليه مالكها وتحكمه في المنطقة كلها.) أنظر:

Hocquet, Op.Cit, Vol.1,pp.166.167

48 – Hermann, Scherer, (1857), **Histoire du commerce de toutes les nations**, depuis les temps anciens jusqu'à nos jours, traduit de l'allemand : Richelot, Henri, Vogel, Charles ; Capelle Librairie, Paris, T.1, P.290 ; Hocquet, Vol.2, p.167 ;

كيرلانسكي: المرجع السابق، ص70.

49 –Hocquet, Vol.2, p.660.

50 – كيرلانسكي: المرجع السابق، ص.72.

51 – حول هذا الموضوع،(أنظر: Hocquet, Vol.1, p.166 et autres.)

52 –Studi di Storia di Veneziana, pp.3.4 ; Storia Economica d'Italia, Vol.1, pp.170–171.

53 –Louis de, Mas Laterie, (1868), Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge, Librairie de Firmin–Didot et Cie, Paris, p.462 ; Hocquet, Vol.2, p.100.

54 –أو ربمّا قبل ذلك، استنادا إلى الخطاب الذي وجّهه كاسيودور إلى حكام فينيسيا البحرية خلال القرن السادس، أين أشاد من خلاله على مهارتهم في الرحلات التجارية الطويلة والبعيدة بل غير المحدّدة– كما وصفها الكاتب– (أنظر: Fanucci, Vol.1, p.54.)

55 –Mas Latrie, Relations, p.463

56 –Hocquet, Vol.2, p.159 et autres.

57 –Mas Latrie, Op.Cit, p.463.

58 –Ibid; Luzzatto, Storia, pp.318,319.

59 –Ibid, pp.320,321.

60 –Hocquet, Vol.2, p.147 et autres ; Luzzatto, Storia, p.311.

61 –لتفاصيل أكثر عن الحركة التجارية للبندقية خلال هذه الفترة، أنظر:

Luzzatto, Studi, pp.1.5 ; Luzzatto, Storia, Vol.1, pp.168,172, 303 et autres.

62 – لتفاصيل أكثر عن دور الملح في تحديد الرحلات ومواعيدها وكذا اتجاهاتها، راجع:

Hocquet, Vol.2, p.143 et autres.

قائمة المصادر والمراجع

1–المصادر

باللغة العربية

– أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (1840)، **تقويم البلدان**، صحّحه: رينود وماك كوكين ديسلان، بيروت، دار صادر، طبعة باريس.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد، (1915)، **صبح الأعشى**، مصر، دار الكتب الخديوية، ج.5.

باللغة الأجنبية

- Le Compte Louis de, Mas Laterie, (1868), Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge, Paris, Librairie de Firmin-Didot et Cie.

- L'Ancien, Pline, (1972), Histoire Naturelle, France, Les Belles Lettres, T.1.

-Strabon, (1816), Géographie, France, Imprimerie Royale, Livre.5.

2- المراجع

باللغة العربية

-جودة، حسين، (1996)، **جغرافية أوروبا الإقليمية**، مصر، منشأة المعارف.

-ديل، شارل، (د.ت)، **البندقية جمهورية أرستقراطية**، تعريب: أحمد عزّت عبد الكريم، توفيق اسكندر، جمعية التاريخ الحديث.

-عداد، تسعديت، (2015)، **علاقة البندقية بالإمبراطورية البيزنطية منذ القرن 12م إلى غاية سقوطها في1204م**، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، رسالة ماجستير غير منشورة.

-كيرلانسكي، مارك، (2005)، **تاريخ الملح في العالم**، ترجمة: حسن، أحمد مغربي، الكويت، مطابع السياسة.

باللغة الأجنبية

-Bistort, Giulio, (1916), **La Republica di Venezia**, Dalle trasmigrazioni nelle Lagune alla caduta di Constantinopoli (1453), Venezia, Ateneo Veneto.

-Daru, Pierre, (1821), **Histoire de la République de Venise**, France, Imprimerie de Firmin Didot, t.3.

-Diehl, Charles, (1928), **Une République patricienne de Venise**, France, Ernest Flammarion.

-Fanucci, Giovanni Battista, (1817), **Storia dei Tre celebri popoli maritimi dell'Italia: Veneziani, Genovesi e Pisani e delle loro navigationi e commerci nei Bassi Secoli**, Pisa, Italia, Presso Francesco Pieraccini, Livre.1 .

-Galibert, Léon, (1854), **Histoire de la république de Venise**, France, Furne et Cie.

-Guérin, Paul, (1986), **Encyclopédie Universelle**, Paris, T.6.

-Histoire Universelle depuis le commencement du Monde jusqu'à présent, (1771), traduit de l'anglais par : Une Société de Gens de Lettres, Arkstée et Merku, Amsterdam et Leipzig.

-Hocquet, Jean Claude, (1979), **Le sel et la fortune de Venise**, France, Université de Paris-Sorbonne, Vol.1 et Vol.2.

-Kaminski, Marion, (2005), **Venise**, Allemagne, h.f.ullmann.

-La Grande Encyclopédie, (1902), Société des Savants et de Gens de Lettres, Paris.

-Luzzatto, Gino, (1916), **Studi di Storia Economica di Veneziana**, Padova, Casa editrice Dott. Antonio Milani.

-Luzzatto, Gino, (1949), **Storia economica d'Italia**, Roma, edizione Leonardo, Vol.1.

- Molmenti, (1882), La Vie privée à Venise, depuis les premiers temps jusqu'à la chute de la République, Venise, Librairie anciennes et modernes.

-Mourre, Michel, (1996), **Dictionnaire encyclopédique d'Histoire**, France, Bordas.

-Quadri, Antonio, (1831), **Abrégé de l'histoire de la République de Venise en huit époques depuis son origine jusqu'à sa chute en 1797**, Venise, Imprimerie du Commerce.

-Scherer, Hermann, (1857), **Histoire du commerce de toutes les nations**, depuis les temps anciens jusqu'à nos jours, traduit de l'allemand : Richelot, Henri, Vogel, Charles, Paris, Capelle Librairie, T.1.

- Spada, Irene, Guistina, Massimo Della, (2013), Il Sale in viaggio da Venezia al Cador Cinque sicole di storia attraverso le vicende dei magazzini cadorini di porto Buffolé e Serravalle.